تعريف الإلحاد: دراسة إبستيمولوجية

أحمد أحيد بن حاج أمينور[1]
أنيس مالك طه[2]

ملخص

يهدف هذا البحث في بيان مفهوم الإلحاد وذلك من منظورين مختلفين، هما: منظور إسلامي ومنظور غربي. وذلك باستقراء مفاهيم كلمة الإلحاد المقررة ثم تحليلها من حيث استعمالاتها في سياقات متعددة عند علماء المسلمين وفلاسفة الغربيين بمنهجية استقرائية تحليلية ومقارنة. وذلك لأن اصطلاح الإلحاد له عدة معان حسب الأنظار المختلفة ويتغير معناه بتغير السياق، وذلك راجع إلى أصل وضعهم هذه الكلمة، وثقافتهما المختلفة. وهذا أمر مهم حيث إن فكرة الإلحاد هي فكرة تدرّس لدى الباحثين المسلمين، فينبغي تصورها تصورا صحيحا كي يصل الباحث إلى نتيجة موفقة خالية من الاعتراضات. وفي موضوع الإلحاد، هناك ثقافتان يجد الباحثون عنه متاعه فيهما هما الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية. سيشتمل هذا البحث على مفهوم كلمة الإلحاد عند المسلمين من حيث أصل اللغة واستعمالات العلماء، ومفهوم كلمة الإلحاد أي (Atheism) عند فلاسفة الغرب من حيث أصل اللغة والفلسفة وأنواعه المختلفة لديهم، وبعد ذلك جاء دور تقرير نسبة هذه المعاني بعضها بعضا، أي هل هناك مثلا التداخل بينها أو التباين التام وغيرهما من تلك المفاهيم المختلفة. يكشف هذا البحث بأن للفظ الإلحاد إطلاقان مختلفان على حسب المنظورين، وبينهما نسب مختلفة باعتبارات مختلفة.

---

[1] طالب الماجستر بمركز بحوث المذهب الشافعي، جامعة السلطان الشريف عليّ الإسلامية، بروناي دار السلام.
[2] نائب المدير بكلية إدارة التنمية الإسلامية، جامعة السلطان الشريف عليّ الإسلامية، بروناي دار السلام.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، الشبهات العقائدية، الإلحاد، علم الكلام، إبستمولوجيا.

المقدمة

إن موضوع الإلحاد ليس موضوعا مبحوثا لدى المسلمين خاصة، بل هو مبحوث لدى الغربيين بين الباحثين في مجال الفلسفة حيث إن الإلحاد الآن قد يعتبر مذهبا فكريا مستقلا له أصوله الفلسفية الخاصة، بل قد انقسمت هذه الفكرة إلى مناهج ومذاهب فكرية متعددة. فمن البحوث المختلفة يلاحظ الباحث أن الباحثين المسلمين الذين كتبوا عن موضوع الإلحاد أتوا بتعاريف متعددة للإلحاد من حيث الاصطلاح. هنا ظهر الخلط لدى الباحثين الإسلاميين، حيث إن أكثرهم نقلوا تعريف الإلحاد من علماء الغربيين، مع أنهم في تعريفهم الإلحاد من حيث اللغة أتوا بالآيات القرآنية ومعنى كلمة الإلحاد في قواميس اللغة العربية. فصاروا يقسمون تعريف الإلحاد إلى التعريف اللغوي الذي هو في الحقيقة تعريف الإلحاد من حيث اللغة العربية، وإلى التعريف الاصطلاحي الذي هو معنى كلمة (Atheism) في اللغة الغربية – أي اليونانية والإنجليزية. ظاهر هذا التقسيم يدل على عدم وجود المعنى الاصطلاحي لكلمة الإلحاد في الثقافة العلمية الإسلامية العربية، ولكن إذا نظرنا إلى التراث الإسلامي سنجد عدة استعمالات لكلمة الإلحاد الذي يعرف من السياق أنه قطعا ليس بمعناه اللغوي، فهذا الأمر يحتاج إلى تحليل ودراسة كي نعلم معان صحيحة لتلك الاستعمالات ومقارنتها مع استعمالات شائعة عند الغربيين. فيهدف هذا البحث إلى الكشف عن تعاريف الإلحاد المتعددة من الثقافتين المختلفتين هما الإسلامية والغربية، والكشف عن أصل وضع هذا الاصطلاح في تلك الثقافتين وعوامل مؤثرة في تعريف معناه عند كل منهما.

تكلم نور عفيفة و وان محمد عزام[1] عن هذا الموضوع تحديدا، وجاءا بتعاريف الإلحاد من منظور غربي وإسلامي. وتتخلص من دراستهما أنه ليس هناك مصطلح في الثقافة الإسلامية الذي يوازي مصطلح الإلحاد في الثقافة الغربية، ولكن

[1] Nor Afifah Abdul Razak & Wan Mohd Azam Mohd Amin. (2021). Atheism and Atheists: Western and Islamic Perspectives. **Al-Itqān.** 5(2). p. 53-55.

فيها معنى تشبه معنى الإلحاد الغربي حيث أطلق الإلحاد أو الملاحدة على فرقة الدهرية من الفلاسفة الذين أنكروا وجود الإله. ثم أوردا معاني الإلحاد المتعددة في الإسلام أخذا من المصادر الثانوية، التي تبين إما المعنى اللغوي للإلحاد، أو معنى الدهرية والزندقة، إلا في بيان معنى الإلحاد عند ابن تيمية الذي في الحقيقة هو نفس البيان عن معنى الإلحاد اللغوي، وإيراد معنى الدهرية عند الشهرستاني. ولا أجدهما يبينان النسبة بين معنى الإلحاد الغربي والإلحاد الإسلامي، بل اكتفيا بالقول بأن الباحثين الإسلاميين استعاروا مصطلح الإلحاد من الغرب، والمصطلح السائغ بين العلماء المتقدمين هو مصطلح الزنديق أو الدهري الذي يشبه معنى الإلحاد الحالي مع فرق يسير بينهما.

وأما زكية بنت عبد الله[1] قد ساوت بين مصطلح الزندقة في الإسلام مع مصطلح الإلحاد وما صرحت بأي مصطلح الإلحاد قصدت إما الإلحاد كما فهمه العلماء المسلمون أو الإلحاد الغربي. ولكن غلب على ظن الباحث أن الذي قصدته هو الإلحاد عند العلماء المسلمين نظرا من السياق حيث أتت باستعمالات كلمة الإلحاد في القرآن وعند علماء المسلمين. وقالت بأنه لا فرق بين الزندقة والإلحاد، بل الخلاف بينهما خلاف لفظي فحسب. وقررت 3 أمور رئيسية تربط بين الإلحاد والزندقة، وهي الأول هو الإلحاد في استعمال وذكر أسماء الله الحسنى حيث وهو العدول عن الاستعمال الصحيح لأسماء الله الحسنى. والثاني هو الإلحاد في آياته الكونية والقولية بالنظر غليها كأنها جاءت من عند البشر واتباع الهوى في تفسير معانيها. والثالث هو المنع على المسلمين من امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه. وهي في هذا البحث لا تأتي بمصطلح الإلحاد من منظور غربي، وهذا متوقع حيث إن بحثها هذا يتكلم في خصوص معنى الزندقة من منظور إسلامي. والباحث لا يوافقها في قولها بأن الزندقة والإلحاد متساويان في المعنى مطلقا، وإنما الفرق بينهما هو في الفرق

[1] Ab. Ilah, Zakiah. (2009). **Konsep zindiq: kajian dari perspektif pemikiran Islam.** Masters thesis. Jabatan Akidah dan Pemikiran Islam, Akademi Pengajian Islam, Universiti Malaya.

في اللفظ فقط، بل تطورت استعمالات كلمة الإلحاد لدى المسلمين على مر التاريخ كما سيبينه الباحث قادما.

وهذا نفس ما قرره عبد الرحمن بدوي(بدوي، 1980: 5-6) حيث عرف الإلحاد بتعريف لفظي وقال بأن الإلحاد في استعمالات المسلمين هو نفس الزندقة. وقال بأن الإلحاد أو الزندقة في مجتمع المسلمين سابقا يظهر بصورة إنكار النبوة لا إنكار وجود الله كما كان واقعا في مجتمع غربي، وهذا – كما قال – نتيجة روح الحضارة العربية الإسلامية. وذكر أيضا تطور كلمة الزندقة في إطلاقات المسلمين على مر العصور إلا أنه وقف في مرحلة صارت إطلاق كلمة الزندقة يقصد به المعنى العام الذي يشمل كل من ذهب مذهبا خلاف مذهب المدعي. وأما الباحث يرى أنه بقيت مرحلة واحدة لم يذكرها عبد الرحمن بدوي وهو مرحلة صارت معنى الإلحاد هو فرقة الدهرية، وقد يكون لا يذكر هذا لأنه قرر ابتداء بأن الإلحاد هو نفس الزندقة في استعمال الحضارة الإسلامية، فإن قال بذلك فتركه المرحلة التي قال بها الباحث مسلّم، حيث إنها مرحلة مخصوصة في قضية تطور معنى كلمة الإلحاد لا الزندقة. ومع ذلك، يرى الباحث أن هذا أمر لا ينبغي فعله حيث كان موضوع الكتاب هو "من تاريخ الإلحاد في الإسلام".

منهجية البحث

ليتحقق مقصود البحث، سيستخدم الباحث المناهج الآتية خلال هذا البحث:

المنهج الاستقرائي: وهذا المنهج منقسم إلى جانبين:

الأول في جمع نصوص علماء المسلمين الذين استعملوا لفظ الإلحاد أو نصوص الباحثين الذين تكلموا عن معنى الإلحاد عند المسلمين. وفي عمل الجمع هذا، تنقسم المصادر إلى المصادر الأولية والثانوية، فالمصادر الأولية هي القرآن الكريم وكتب التفسير وكذا كتب العلماء المتقدمين الذين ذكروا كلمة الإلحاد، والثانوية هي المؤلفات التي كتبها الباحثون عن معنى الإلحاد لدى المسلمين.

والثاني استقراء مؤلفات الفلاسفة والباحثين الغربيين الذين تكلموا عن معنى كلمة (Atheism) عندهم، وأصل اشتقاقه وتطور معناه.

المنهج التحليلي: كما قسم الباحث أعماله في مستوى الاستقراء إلى جانبين، هنا قسم أعماله في مستوى التحليل إلى جانبين أساسيين:

الأول، من خلال المعلومات التي جمعت عن الإلحاد عند المسلمين، يقوم الباحث بتحليل كل من استعمالاتهم وحاول أن يكشف المعنى المراد به إما من تصريحاتهم أو من ضمن السياق أو القرائن.

الثاني، ومن خلال نصوص الفلاسفة والباحثين الغربيين قد حاول الباحث أن يستخلص مفهوم الإلحاد لديهم وما أصل هذه المعاني ولماذا أطلقه على فكرة معينة.

منهج المقارنة: وهو أن يقارن الباحث بين مفهوم الإلحاد من منظور إسلامي وغربي ثم بيان النسبة بينهما والفروق إن وجدت.

مفهوم الإلحاد من منظور إسلامي.

البحث عن معنى الكلمة من منظور إسلامي يقتضي تحليل معانيها من حيث اللغة ابتداء، ثم بعد ذلك يدخل الباحث في استعمالات تلك الكلمة في مصطلح العلماء. وهذا الترتيب كما جرى في عمل العلماء المسلمين في تعريف أي كلمة، وذلك ليتحصل على التصور الكامل لكلمة ما ومصاديقها على حسب عرف من يستعملها.

فهذا هو ما تتضمن هذه المحاولة لكشف مفهوم الإلحاد من منظور إسلامي في هذا البحث. فنظر الباحث أولا في معنى الإلحاد عند العرب، ثم أتى ببعض استعمالات كلمة الإلحاد من القرآن الكريم، ونصوص العلماء المسلمين، ونظر إلى تلك الإستعمالات ليستنبط المعنى المراد بهذا المصطلح لديهم. وبذلك يتمنى الباحث أن يؤدي الحق في الكشف عن مفهوم الإلحاد من منظور إسلامي.

الإلحاد في اللغة العربية.

إن الإلحاد في أصل اللغة هو مصدر أَلْحَدَ يُلْحِد وأصله من لَحَدَ، قال الزمخشري: ألحد القبر ولحده، وهو ملحد وملحود، إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه، ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة.(الزمخشري، د.ت: ج2، 635)

قال صاحب ((لسان العرب)): قال أبن السكيت: الملحد; العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه. ويقال: قد ألحد في الدين ولحد، أي حاد عنه. ونقل أيضا عن ابن البري: ومعنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد. وقال ابن المنظور نفسه: وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء.(ابن منظور، د.ت: ج5، 4005-4006) وجاء في ((مختار الصحاح)): أَلْحَدَ في دين الله أي: حاد عنه وعدل.(الرازي، د.ت: 559)

وقال الراغب: وألحد فلان: مال عن الحق.(الأصفهاني، 2011: 737)

ذكر الإلحاد في القرآن الكريم.

إن كلمة الإلحاد ورد في القرآن الكريم بمعناه اللغوي فقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ١٠٣﴾(سورة النحل: الآية 103)

قرأ حمزة والكسائي وخلف: (يَلْحَدون)، وقرأ غيرهم من القراء: (يُلْحِدون).

نقل ابن منظور عن الفراء قوله: قرئ يَلْحَدون فمن قرأ يَلْحَدون أراد يميلون إليهن ويُلْحدون يعترضون.(ابن منظور، د.ت: ج5، 4006)

وقال البغوي: لسان الذي يلحدون إليه أي يميلون ويشيرون إليه.(البغوي، 1997: ج3، 93)

قال أبو السعود: أي لغة الرجل الذي يميلون إليه القول عن الاستقامة أعجمية غير بينة.(العمادي، د.ت: ج6، 103)

وقد ورد أيضا في لفظ الإلحاد في قوله تعالى:

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(سورة الحج: الآية 25)

قال البغوي مفسرا لقوله (بإلحاد بظلم): وهو الميل إلى الظلم.(البغوي، 1997: ج3، 333) وقال أبو السعود: (بإلحاد) بعدول عن القصد.(العمادي، د.ت: ج6، 103) وكذا قال النسفي(النسفي، 1998: ج2، 435) في تفسيره.

وقوله تعالى:

﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾(سورة الأعراف: الآية 180)

قال البغوي: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزّى من العزيز ومناة من المنان، هذا قول ابن عباس ومجاهد. وقيل هو تسميتهم الأصنام آلهة. روي عن ابن عباس: يلحدون في أسمائه أي يكذبون. وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يتسمّ به و لم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.(البغوي، 1997: ج2، 254)

فيتخلص من كل ما ذكرناه أن الإلحاد في اللغة هو الميل عن الاستقامة.

فالملحد يشمل معناه كل من يعدل عن الحق، كما قال الفخر الرازي: ومنه يقال للعادل عن الحق ملحد.(الرازي، 1999: ج20، 271) فيلزم من هذا المعنى أن معنى الإلحاد في أصل اللغة أعم من معناه الشائع الآن، حيث إن الملحد يطلق على كل من يعدل عن الحق يعني الإسلام. فيشمل المتدين بأديان أخرى، والمشرك، وعابد الصنم، ومن لا يعتقد بوجود الإله أصلا، لأن كلهم يشتركون في عدولهم عن دين الحق وهو الإسلام. قال الله تعالى:

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾(سورة آل عمران: الآية 19)

قال البغوي: يعني الدين المرضي لله الصحيح.(البغوي، 1997: ج1، 420)

ولكن أشار الزمخشري إلى المعنى الآخر للإلحاد في الدين، حيث قال: ومنه الملحد، لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين. فظاهر قوله أن الملحد أو الملحدين فرقة خارجة عن الأديان جميعا، فلا تنسب هذه الفرقة إلى أي أديان، وهذا المعنى قريب مما تعهدناه من معنى الإلحاد في هذا العصر. فهو أخص من معنى الإلحاد اللغوي الذي هو مطلق الميل أو العدول عن الحق، حيث إنه يختص فيمن لم يعتقد بأي دين. ولكن يرى الباحث أنه أيضا قد يحمل بمعنى الفرقة الضالة من المسلمين حيث إن عقيدتهم لا تطابق عقيدة الإسلام، ولا تطابق عقائد الأديان الأخرى. فلا هي من هؤلاء ولا من هؤلاء. والله تعالى أعلم.

ذكر الإلحاد في نصوص العلماء المسلمين

إذا استقرأنا نصوص العلماء المتقدمين، يظهر بأن لفظ الملحد يستعمل – غالبا – عند المتقدمين بمعناه اللغوي الأعم، حيث أطلق لفظ الملحد بقصد فرقة المعتزلة، كما فعله أبو الحسن الكناني المتوفى سنة 240 ه حيث قال في رده على المعتزلة: ثم قال في موضع آخر: ﴿ومَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ ولَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ فدل بهذا الخبر أيضا على أن الوحي شيء بالمعنى، وذم من جحد أن كلام الله شيء، فلما أظهر الله عز وجل اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في جملة الأشياء المخلوقة. انتهى كلامه. فمحل الشاهد هنا إطلاقه لفظ (الملحدون) للمعتزلة في قولهم بخلق القرآن، وطبعا إن المعتزلة قال بوجود الله وآمن بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لكن أطلق عليهم أنهم ملحدون من حيث إنهم مال عن الحق في قولهم بخلق القرآن، والحق أن القرآن كلام الله، وفيه تفصيل مذكور في كتب علم الكلام. وكذا ما قاله ابن قتيبة المتوفى سنة 276ه: وأما الملحد فهو العادل الجائر عن القصد.(الكناني، 2002م: 36) ويقوي

هذا الأمر ما ذكره عبد الرحمن بدوي بأن الإلحاد في القرن الثاني والثالث والرابع الهجري يستعمل عند المسلمين بمعنى الزندقة، فإذا يطلق على شخص بأنه ملحد فهو بنفس قولك بأنه زنديق، والزندقة تشمل كل عدول عن الحق.[1]

وشاهد ذلك ما روي الفسوي عن الخليفة هارون الرشيد: سمعت علي بن المديني يقول: قال محمد بن خازم: كنت أقرأ حديث الأعمش عن أبي صالح عَلى أمِيرِ المُؤْمِنِينَ هارُونَ فَكُلَّما قُلْتُ قالَ رسول الله ﷺ، قال صلى الله عَلى سَيِّدِي ومَوْلايَ. حَتّى ذَكَرْتُ «التَقى آدَمُ ومُوسى» قالَ: وقالَ عَمُّهُ- سَماهُ عَلِيٌّ فَذَهَبَ عَلِيٌّ- فَقالَ: يا مُحَمَّدُ أيْنَ التَقَيا؟ قالَ: فَغَضِبَ هارُونُ وقالَ: مَن طَرَحَ إلَيْكَ هَذا، وأمر به. قال: فحبس، ووَكَّلَ بِي مِن حَشَمِهِ مَن أدْخَلَنِي عَلَيْهِ فِي مَحْبِسِهِ. فَقالَ: يا مُحَمَّدُ واللَّهِ ما هُوَ إلا شَيْءٌ خَطَرَ بِبالِي، وحَلَفَ لِي بالعتق وصدقة المال وغير ذلك مِن مُغَلَّظاتِ الأيْمانِ، ما سَمِعْتُ مِن أحَدٍ ولا جَرى بَيْنِي وبَيْنَ أحَدٍ فِي هَذا كَلامٌ، وما هُوَ إلا شَيْءٌ خَطَرَ عَلى بالِي. قالَ: فَلَمّا رَجَعْتُ إلى أمِيرِ المُؤْمِنِينَ كَلَّمْتُهُ، قالَ: لِيَدُلَّنِي عَلى مَن طَرَحَ إلَيْهِ هَذا الكَلامَ. فَقُلْتُ: يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَدْ حلف بالعتق وبمغلظات الأيْمانِ إنَّهُ إنَّما شَيْءٌ خَطَرَ عَلى بالِي لَمْ يَجْرِ بَيْنِي وبَيْنَ أحَدٍ فِيهِ كَلامٌ. قالَ: فَأمَرَ بِهِ فَأُطْلِقَ مِنَ الحَبْسِ. وقالَ لِي: يا محمد ويحك إنَّما تَوَهَّمْتُ أنَّهُ طَرَحَ إلَيْهِ بَعْضُ المُلْحِدِينَ هَذا الكَلامَ الَّذِي خَرَجَ مِنهُ فَيَدُلَّنِي عَلَيْهِمْ فَأسْتَبِيحُهُمْ وإلا فَأنا عَلى يَقِينٍ أنَّ القُرَشِيَّ لا يَتَزَنْدَقُ. قالَ هَذا أوْ نَحْوَهُ مِنَ الكَلامِ.(الفسوي، 1981: ج2، 181-182) فهنا يستعمل معنى الإلحاد في معنى الزندقة. وليس من الغريب أيضا استعمال الزندقة بقصد الطعن والذم، كما قال الحجاج للناس في خطبته عن ابن الزبير – ولا يخفى ما وقع من الخصومة بين بني أمية وعبد الله بن الزبير حينئذ –: إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير إنما هي زيادة ملحد منافق فاسق، ولسنا نجيزها.(البلاذري، 1996: ج2، 282)

[1] انظر: عبد الرحمن بدوي. (د.ت.). **من تاريخ الإلحاد في الإسلام**.

فنستطيع أن نقول بأن إطلاق لفظ "زنديق" و"ملحد" في ذاك الزمان هو طعن في ديانة الشخص، ومن العادة أيضا إطلاق هذه الكلمات بقصد سياسي أو نفسي لأجل الطعن في شخص ما.

واستعمل أيضا لفظ الزندقة في القرن الخامس والسادس الهجري بمعنى الكفر, وذلك كما هو مشاهد عند بعض علماء ذلك العصر، الإمام حجة الإسلام محمد الغزالي الذي توفي في سنة 505هـ مثلا سمى كتابه بـ(فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة)، وهذا الكتاب كاملا هو بيان عن ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، وواضح من اسم الكتاب أنه جعل الزندقة مقابلا للإسلام، وواضح من مضمون الكتاب أنه يقصد بعموم الكفر هنا، لا خصوص الإنكار على وجود الله.[1]

ولكن فصل عبد الرحمن بدوي عن تطور معنى كلمة الإلحاد أو الزندقة في تاريخ المسلمين، فقال بأنه كان يطلق على من يؤمن بالمانوية، ثم اتسع المعنى من بعد اتساعا كبيرا حتى أطلق على كل صاحب بدعة وكل ملحد، ثم انتهى به الأمر أخيرا إلى أن يطلق على من يكون مذهبه مخالفا لمذهب أهل السنة، أو حتى من كان يحيا حياة المجنون من الشعراء والكتاب.

فيتخلص من تقريره هذا أن هناك عدة مراحل لتطور مفهوم الإلحاد والزندقة لدى المسلمين، هي:

المرحلة الأولى: يطلق على من يؤمن بالمانوية.

المرحلة الثانية: اتسع إطلاقه على كل صاحب بدعة وكل ملحد.

المرحلة الثالثة: يطلق على كل من خالف أهل السنة وحتى من كان حياته حياة المجنون من الشعراء والكتاب.

ولكن، رأى الباحث أن تلك المراحل الثلاثة التي ذكرها عبد الرحمن بدوي سابقا ليست مراحل متعددة زمانيا، بل صريح من النقولات السابقة أن المعنى الأعم للإلحاد التي تعتبر كمرحلة ثالثة عند عبد الرحمن بدوي كانت تستعمل لها منذ القرن

[1] انظر: الغزالي، محمد بن محمد. (2017). **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**.

الثالث الهجري. وبيان ذلك، أن المرحلة الثالثة عند نظرية عبد الرحمن بدوي التي هي المعنى الأعم للإلحاد تشمل المرحلتين الأوليين، فالإلحاد تشمل كل صاحب بدعة وضلالة التي تشمل أيضا المانوية التي هي من أوائل البدعة التي ظهرت لدى المسلمين، الله أعلم. فالخلاصة، أن كلمة الإلحاد والزندقة تستعمل استعمالا عاما لغويا عبر تاريخ المسلمين، ابتداء من القرن الثاني إلى ما قبل القرن العاشر الهجري كما سيبيّن الباحث من بعد.

ولكن، وجد الباحث من يستعمل لفظ الإلحاد في خصوص فرقة الدهرية من الفلاسفة، والدهرية فرقة من الكفار ذهبوا إلى قدم الدهر واستناد الحوادث إلى الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)، وذهبوا إلى ترك العبادات رأسا لأنها لا تفيد، وإنما الدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة على ما هو الواقع فيه. فما ثم إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وسماء تقلع وسحاب تقشع وهواء تقمع. ويسمون بالملاحدة أيضا.(التهانوي، 1996: ج1، 800)

وقال التهانوي في معنى الملاحدة: فرقة من الكفار يسمون بالدهرية.(التهانوي، 1996: ج2، 1639) وقد يكون – الله أعلم – أن هذا استعمال المتأخرين، حيث إن التهانوي توفي فيما بعد 1158ه. ونفس الشيء وجد الباحث في قول الهدهدي في شرحه لعقيدة الصغرى حيث أطلق الإلحاد بقصد فرقة الدهرية من الفلاسفة. وهو – كما قاله محقق كتاب حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي وهو محمد عبد القادر نصار – من أهل القرن الحادي عشر أو أوائل القرن الثاني عشر.[1]

فالحاصل، إن كلمة الإلحاد والملحد في مصطلحات المتقدمين يستعمل في المعنى العام الذي يشمل كل من ضل وعدل عن العقيدة الصحيحة، سواء كان من

[1] انظر: الشرقاوي، عبد الله بن حجازي. (2017). **حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي على السنوسية**. محمد نصار (محقق). دار الإحسان.

الكفار أو المسلمين وهو نفس معنى الزندقة، بل اتسع مفهومه اتساعا حتى يطلق على بعض الشعراء والكتاب. وعند المتأخرين أي – على الأقل – ما بعد القرن الحادي عشر الهجري قد يستعمل هذا اللفظ بقصد فرقة الدهرية من الفلاسفة.

مفهوم الإلحاد من منظور غربي.

إن كلمة الإلحاد عند الغربيين علم لفكرة معينة مخصوصة لها أصولها وتاريخها الخاصة. فيسع الباحث هنا أن يسرد معنى الإلحاد في استعمال الباحثين الغربيين.

فالإلحاد قطعا ينافي التأله (theism)، كما أن التأله أيضا – عند بعضهم – ينافي الوحدة (pantheism) وهو القول بأن العالم هو الإله أو الشرك (polytheism) وهو الاعتقاد بتعدد الآلهة.[1]

ففي هذا القول، كأن التأله هو مساو للتوحيد (monotheism). وهذا مهم حيث إن الإلحاد هو مصطلح أبدع – في الأصل – كمقابل لاصطلاح التأله، فمعناه تابع لمعنى التأله ويتغير بتغير معنى الإله والتأله لدى الناس حيث إنه هو الأصل، وإطلاق لفظ الإلحاد محاولة لإيجاد الضد للتأله، على الأقل هذا ما زعمه هيمن Hyman.[2]

وأيده جوليان باكيني.[3]

ولكن ظهر عدم دقة هذا المعنى نظرا إلى أصله اليوناني، حيث إن أصل اشتقاقه هو من لغة اليونان. فنظرا إلى هذا الجانب، إن الإلحاد هو عدم الاعتقاد بوجود الإله، فهو أعم من الاعتقاد بعدم وجود الإله.[4]

---

[1] Michael Martin (Ed.). (2007). *The Cambridge Companion to Atheism*. United States of America:Cambridge University Press. p.2.

[2] Gavin Hyman. (2010). *A Short History of Atheism*, London:I.B. Tauris & Co Ltd. p.xvii.

[3] Julian Baggini. (2003). *Atheism: A Very Short Introduction*. New York:Oxford University Press. p.3.

[4] Michael Martin (Ed.). (2007). *The Cambridge Companion to Atheism*. United States of America:Cambridge University Press. p.1.

وهذا المعنى قريب ممن قال بأن الإلحاد هو ترك الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون.(ناصر، 2017: 27)

ولكن الأول يستخدم لفظ "عدم" فهو قد يفهم كلفظ أعم من الثاني لأنه يشمل من ليس له أي اعتقاد في وجود الإله أو عدمه ولا يقتضي الإعراض أو الإنكار، وأما لفظ "ترك" يقتضي الإنكار والإعراض عنه. الله أعلم.

فبقولهم "عدم الاعتقاد" أو "ترك الاعتقاد" يدخل من اعتقد وجزم بعدم وجود الإله، وأيضا من شك وأنكر وجود الإله لأجل هذا الشك.(ناصر، 2017: 27)

وهذا الثاني نوع مما يسمى عند بعضهم بـــ(agnostics). ولكن يجب أن ينتبه القارئ هنا بأن ليس مجرد الشك هو الإلحاد، بل الشك مع الإعراض عن الاعتقاد بوجوده، وهذا مهم فانتبه. وبهذا القيد دخل أيضا ما يسمى عندهم بـــ(Sceptics). وفضل غسكين Gaskin استعمال لفظ اللاإيمان (unbelief) بدل الإلحاد للخروج عن الفرق بين معنى الإلحاد اللغوي وهو عدم الاعتقاد بوجود الإله – أي ما يسمى عنده باللاإيمان – وبين معنى الإلحاد الثاني وهو الاعتقاد بعدم الإله.[1]

قولهم الإله أو إله هذا الكون له معنى عام وخاص، ومعناه العام يشمل الإله الذي منه صدر الكون وانبثق مطلقا سواء أكان له دور في التدبير والتشريع أم لا، ومعناه الخاص هو الإله الذي منه صدر الكون وانبثق وله دور في تدبير الكون والتشريع. ونفي تدخل الإله في أمور الكون أو التشريع على سبيل الخصوص هو ما يسمى بـــ(deism). فالملحد من ترك الاعتقاد بوجود كل هذا.(ناصر، 2017: 28)

[1] J.C.A. Gaskin (Ed.). (1989). *Varieties of Unbelief*. New York:Macmillan Publishing. p.2.

ولكن هناك أيضا من اقتصر وقال بأن الإلحاد هو عدم الاعتقاد بوجود الإله المتعبد عند المتألهين فقط لا غير، بل منهم من اقتصر وقال بأن الإلحاد هو الإنكار على وجود الإله المتعبد عند الأديان السماوية فحسب.[1]

وبعضهم وسع المعنى ليشمل أيضا عدم الاعتقاد بالمعجزات والخوارق للأحكام العادية أو الطبيعية وعدم الاعتقاد باستمرارية حياة الإنسان إلى ما بعد الموت. فكل هذه الأمور داخلة عنده تحت مفهوم الإلحاد أو الذي سماه باللاإيمان. قال[2] :

"Unbelief is (A) lack of belief in supernatural agents – God, gods, demons, or any abstraction intended as a substitute for these, e.g. Tilich's "ground of being"; (B) lack of belief in miracles, interventions in the natural order by supernatural agents, and (C) lack of belief in a future state, in the continuance of any individual person after that person's real bodily death ".

أقسام الإلحاد عند الغربيين.

ثم بناء على تعريف الإلحاد بعدم الاعتقاد بوجود الإله، يستطيع الباحث أن يقسم الملحد إلى أنواع:

النوع الأول: الشاك مع الإعراض عن وجود الإله.

النوع الثاني: المعتقد بعدم وجود الإله.

النوع الثالث: الشاك مع الإعراض عن تدخل الإله في الكون بالتدبير والتشريع.

النوع الرابع: المعتقد بأن الإله ليس له دور في التدبير والتشريع.

فالنوع الثالث والنوع الرابع يسمى أيضا بـــ(deists).

---

[1] J.C.A. Gaskin (Ed.). (1989). *Varieties of Unbelief*. New York:Macmillan Publishing. p.2.

[2] J.C.A. Gaskin (Ed.). (1989). *Varieties of Unbelief*. New York:Macmillan Publishing. p.2.

ومن هذا التقسيم يتبين أن النوع الأول يستلزم النوع الثالث، والنوع الثاني يستلزم النوع الرابع، حيث إن من أنكر وجود الإله أصلا يلزمه القول بأن الإله ليس قادرا في التأثير والتدبير، ولا يلزم العكس.

وقسم بعضهم الإلحاد إلى الإلحاد الإيجابي (positive atheism) والإلحاد السلبي (negative atheism).[1]]

وهو في الحقيقة محاولة الجمع بين معنى الإلحاد الموجود في القواميس وبين معناه الأصلي الذي اشتق من أصله اليوناني.

فالإلحاد السلبي هو عدم الاعتقاد بوجود الإله، وهذا على الوجه الأعم، أما معناه على الوجه الأخص هو عدم الاعتقاد بوجود الإله المعروف لدى المتألهين. وأما الإلحاد الإيجابي فهو الاعتقاد بعدم وجود الإله، وهذا هو معناه على الوجه الأعم، ومعناه على الوجه الأخص هو الاعتقاد بعدم وجود الإله المعروف لدى المتألهين.[2]

فإن طبقنا هذا التقسيم إلى أنواع الملحدين المذكورة سابقا يتبين لنا أن النوع الأول هو ما يسمى بالإلحاد السلبي، والنوع الثاني هو ما يسمى بالإلحاد الإيجابي.

ثم ينقسم كل واحد منهما إلى قسمين:

فالقسم الأول ينقسم إلى الملحد الشاك المعرض عن وجود الإله مطلقا وهو الإلحاد السلبي بالمعنى الأعم، والملحد الشاك المعرض عن الإله المعروف لدى المتألهين وهو الإلحاد السلبي بالمعنى الأخص. والقسم الثاني ينقسم إلى المعتقد بعدم وجود الإله مطلقا وهو الإلحاد الإيجابي بالمعنى الأعم، والمعتقد بعدم وجود الإله المعروف لدى المتألهين وهو الإلحاد الإيجابي بالمعنى الأخص.

---

[1] Michael Martin (Ed.). (2007). *The Cambridge Companion to Atheism*. United States of America:Cambridge University Press p.2.

[2] Michael Martin (Ed.). (2007). *The Cambridge Companion to Atheism*. United States of America: Cambridge University Press. p.2.

وهذا هو التقسيم الكلي، ولكن بالنظر إلى جزئياته فيمكن التداخل بين كل واحد منها في ملحد معين، مثلا قد يكون الشخص المعين ملحدا إلحادا إيجابيا بالنسبة إلى إله النصارى وملحد إلحادا سلبيا بالنسبة إلى إله المسلمين، أو بالعكس، وقسه على جميع الأديان الموجودة في العالم السابق منها أو الحاضر.[1]

فالنوع الأول والثاني من الإلحاد يستلزمان قضية هي أنه لا دليل قطعيا في وجود الإله. والنوع الثالث والرابع منه يستلزمان قضية هي لا دليل قطعيا في أن الإله قادر على التأثير سوى التأثير في بداية وجود العالم. وبعض الملحدين من النوع الثاني يستقل ويدعي أن عدم وجود الإله ثابت بالبرهان القطعي، وبعضهم من النوع الرابع يدعي أن عدم تأثير الإله في الكون ثابت بالبرهان القطعي.

فيتلخص مما بيناه سابقا بأن أعم المقصود عند الغربيين بكلمة الإلحاد أو Atheism هو ما يشمل الأنواع الأربعة، فالملحد هو من أنكر وجود الإله مطلقا سواء كان إله المسلمين، أو نصارى، أو اليهود، أو أي آلهة أخرى ادعاه طائفة من الناس أو أي مفهوم الإله الموجود في العالم ، وذلك إما لأنه اعتقد بعدم وجوده أو شك في وجوده، والملحد أيضا من أنكر تأثير الله وتدبيره في الكون إما لأنه شاك فيه أو اعتقد بعدمه. وكما لا يخفى توسيع بعضهم معنى الإلحاد – أو اللإيمان على قولهم – إلى الإنكار بكل ما يخالف العادة أو الطبيعة وإنكار أحوال بعد الموت كما بيناه سابقا.

النتيجة

بعد ما ذكر الباحث وقرر من مفهوم الإلحاد من منظورين مختلفين، ظهر في نظر الباحث بأن مفهوم الإلحاد لدى الغربيين أخص مطلقا من مفهوم الإلحاد لدى المسلمين المتقدمين، حيث إن الإلحاد عند العلماء المتقدمين يشمل كل فكرة تنافي

[1] Michael Martin (Ed.). (2007). *The Cambridge Companion to Atheism*. United States of America: Cambridge University Press. p.2.

العقيدة الصحيحة، ولا شك أن الإلحاد أو فكرة الإلحاد المعهودة في الغرب تنافيها تماما. ولكن الإلحاد عند متأخري علماء المسلمين يطلق على فرقة خاصة هي فرقة الدهرية من الفلاسفة، أو ذرنا نقول فكرة فرقة الدهرية حيث إن اسم المصدر دال على أمر اعتباري وليس على أمر خارج في الواقع. فإن قارنا بين الإلحاد الغربي وبين الدهرية كفكرة، يرى الباحث بأن فكرة الدهرية الإلحادية أخص مطلقا من فكرةالإلحاد الغربي، حيث إن الدهرية اعتقدت بعدم وجود سبب أو إله لهذا الكون، بل سببه هو الدهر.

وهذا نوع من أنواع الإلحاد الغربي كما بينا في المطلب السابق وهو الإلحاد الإيجابي بالمعنى الأعم. وأما إن نظرنا إليهما كفرقة فطبعا بينهما تباين تام حيث إن الدهرية فرقة قد مضت وأما الإلحاد الغربي فرقة نشأت في الحاضر.

بعد البحث والدراسة، يتبين لنا أن لفظ الإلحاد له استخدام عام في القرآن الكريم وعند علماء المسلمين، فلا ينبغي التسرع في فهم كلمة الإلحاد التي وردت في تراث المسلمين بأنه بإزاء معنى كلمة الإلحاد المعهودة الآن، بل هو أعم من ذلك.

وفي الختام، وصّى الباحث للباحثين الذين يكتبون عن الإلحاد أن يدقّق ويحقّق معنى الإلحاد المقصود حتى يتبيّن للقارئ التصور الصحيح لمعنى هذه الكلمة، فاستعمال هذه الكلمة مجردا عن سياقها المعهودة قد يفضي إلى الخلط في فهم مقصود المصنف. وبالله تعالى التوفيق، وعليه التكلان.

المصادر والمراجع

Abdul Razak, N. A. & Mohd. Amin, W. M. A. (2021). Atheism and Atheists: Western and Islamic Perspectives. Al-Itqan: Journal of Islamic Sciences and Comparative Studies, 5(2) 53-70. https://journals.iium.edu.my/al-itqan/index.php/al-itqan/article/view/198/100.

Ab. Ilah, Z. (2009). Konsep Zindiq: Kajian dari Perspektif Pemikiran Islam. [Masters Thesis, University of Malaya] University of Malaya Research Repository. http://studentsrepo.um.edu.my/5325/

Al-Asfahani, A.R. (2011). Mufradat Alfaz Al-Quran. Damascus: Dar Al-Qalam.

Al-Baghawi, A.H. (1997). Ma'alim At-Tanzil fi Tafsir Al-Quran. Dar Al-Taybah.

Al-Baladhuri, A.Y. (1996). Ansab Al-Ashraf. Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Dinawari, A.M. (1959). Gharib Al-Hadith. Baghdah: Matba'ah Al-'Ani.

Al-Fasawi, Y.S. (1981). Al-Ma'rifah wa Al-Tarikh. Beirut: Muassasah Al-Risalah.

Al-Imadi, M.M. (n.d). Irshad Al-'Aql Al-Salim ila Mazaaya Kitab Al-Karim. Beirut: Dar Ihya' At-Turath Al-'Arabiy.

Al-Kinani, A.A. (2002). Al-Hiyadah wa Al-I'tidhar fi Al-Radd 'ala Man Qola bi-Khalqi Al-Quran. Maktabah Al-'Ulum wa Al-Hikam .

Al-Nasafi, A.A. (1998). Madarik Al-Tanzil wa Haqaiq Al-Ta'wil. Beirut: Dar Al-Kalim Al-Toyyib.

Al-Razi, M. (n.d). Mukhtar Al-Sihah. Al-Bara'im Li Al-Intaj Al-Thaqofi .Ihya' Al-Turath Al-'Arabiy.

Al-Razi, M.U. (1999). Mafatih Al-Ghaib. Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabiy .

Al-Sharqawi, A.H. (2017). Hashiyat Al-Sharqawi 'ala Sharh Al-Hudhudi 'ala Al-Sanusiah. Dar Al-Ihsan.

Al-Tahanawi, M.A. (1996). Mausu'at Kasshaf Istilahat Al-Funun. Lebanon: Maktabah Lubnan.

Al-Zamakhsyari, M. (n.d.). Al-Kasshaf 'an Haqaiq Ghawamidh At-Tanzil. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Arabiy.

Badawi, A.R. (1980). Min Tarikh Al-Ilhad fi Al-Islam. Al-Muassasah Al-'Arabiyyah li Al-Dirasat wa Al-Nashr.

Baggini, J. (2003). Atheism: A Very Short Introduction. Oxford University Press.

Dawkins, R. (2017). The God Delusion. Bantam Press.

Gaskin, J.C.A. (1989) Introduction. In J. C. A. Gaskin (Ed.), Varieties of Unbelief: From Epicurus to Sartre. New York: Macmillan Publishing Company.

Hyman, G. (2010). A Short History of Atheism. London: I.B Tauris.

Ibn Manzur, M.M. (n.d). Lisan Al-'Arab. Dar Al-Ma'arif .

Martin, M. (2007). General Introduction. In M.Martin (Ed.), The Cambridge Companion to Atheism (pp. 1-7). Cambridge University Press.

Naser, M. (2017). Al-Ilhad: Asbabuhu wa Mafatih Al-'Ilaj. Muassasah Al-Dalil.

Simpson, J.A., Weiner, E.S.C., & Oxford University Press. (1989). The Oxford English Dictionary. Oxford: Clarendon Press.